الشيـخ نـورالدين البريفكانـي والطريقة القادرية البريفكانية

*أ.م.د. آزاد سعيد سمو

*أ.م.د.ضياء حبيب توفيق

الخلاصة

الطريقة البريفكانية القادرية من الطرق المنتشرة بين الكُرد، ولقد تفرعت هذه الطريقة عن الطريقة القادرية إذ إنّ الشيخ نور الدين البريفكاني (١٧٩٠-١٨٥١م) كان قد أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ محمود بن عبد الجليل القادري عام (١٢٣٢هـ) وأخذ الشيخ نور الدين العلم عن خيرة علماء المنطقة حيث تجول في الكثير من المدن ودرس على يد علمائها أمثال: أبي بكر عبد الرحمن الدباغ الموصلي، والملا يحيى المزوري، والعلامة الشيخ حسن البسيطي وغيرهم، هذا وقد أمضى الشيخ نور الدين عشر سنوات من عمره في عزلة عن الناس إذ كان يعيش في الكهوف والجبال بعيدا عن القرى والمدن وبعدما أدرك أنه قد صفّى نفسه وهذبها بدأ بإرشاد الناس وتربية المريدين، واختار له عددا من الخلفاء في مناطق متعددة، وكانوا يقومون بنشر طريقته في تلك المناطق التي يقيمون فيها، ومن أشهر خلفائه: الشيخ عبد الحميد البريفكاني، وأبو عبد الله محمد النوري الموصلي، والشيخ عبد الكريم العقراوي، والملا حامد أفندي الدوسكي البيسري وغيرهم، وللشيخ نور الدين البريفكاني العديد من الآثار العلمية منها: البدور الجليّة، و بغية الصوفية، و بهجة السالكين، و تنبيه النيام، و ديوان شعر بثلاث لغات: العربية و الكردية و الفارسية، هذا وقد تنقلّ الشيخ نور الدين في الكثير من المناطق إلى أن استقرّ به المقام في قريته (بريفكا) القريبة من محافظة دهوك في إقليم كردستان العراق، وبنى تكيته هناك وبقي فيها إلى أن توفي ودفن في تكيته، وضريحه اليوم يزار من قبل المريدين من شتى المناطق، هذا وقد انتشرت الطريقة البريفكانية في حياة الشيخ نور الدين وبعد وفاته في مناطق واسعة من إقليم كردستان والعراق عموما ووصلت إلى تركيا وبعض البلدان الأخرى.

Abstract

Sheikh Nour al-din Brifki and his Brifki-qadri method The method of Brifki-Qadri is one of the common methods in Kurdistan. This method is a branch of the globally known method Qadiri . Sheikh Nour al-don Brifki (١٨٥١-١٧٩٠A.C) acquired the Qadiri method from Sheikh Mahmoud abdul jalil. he also acquired Shariah sciences from the most known scientists of shariah in that area, and Mala Yahiya Mziry was the

* قسم التربية الدينية-كلية العلوم الإنسانية- جامعة دهوك- إقليم كوردستان_العراق.

* قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم الإسلامية - جامعة السليمانية_إقليم كردستان_العراق.

most known among them. Sheikh Nour al-din Brifki traveled through many villages and cities of Kurdistan to obtain knowledge, some of them were Amedi, Shosh, kwesnjiq, Shaqlawah, Erbil, and Mosul. After he received both knowledge and Tariqah certificate in Mosul, he returned back to Kurdistan and traveled to many cities and villages, till he finally settled down in his own village (Brifka). And it was in the same Taqya that his fifth grandfather founded that he started to preach in and distribute the Qadiri method till the last day of his life.

Sheikh Nour al-din Brifki is considered as one of the most famous Sheikhs of the Sufi-Qadiri method. He also is known as the renovator of this method, so he was denominated as Abdul Qadir the second. He also was denominated as Gaylany the second for all his contributions in this method.

Sheikh Nour al-din Brifki is not only a sufi but also one of the famous Kurd poets, and he has written tenth of poets in the three languages Kurdish, Arabic, and Persian. He also analyzed many poems written by his fifth grandfather Sheikh Shams al-din al-Akhlaty.

المقدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

لقد برز دور الكرد على مدار التاريخ في شتى المجالات العلميّة والفكريّة والسياسيّة والعسكريّة وغيرها من المجالات، ويفتخر الشعب الكردي بأنه قد أنجب ثلّة من خيرة العلماء في كافة المجالات العلميّة والمعرفيّة، فالعلماء الكرد لم يتركوا بابا من أبواب المعرفة الإنسانيّة إلاّ وطرقوه ودخلوا فيه من أوسع أبوابه، وتعلّموه وطوّروه وأبدعوا فيه، فالشعب الكردي قديما وإلى يومنا هذا كان ولا يزال محبّا للعلم والثقافة والمعرفة، وما هذه الآثار والكتب العلميّة التي بين أيدي القرّاء والباحثين اليوم إلاّ دليلاً قاطعاً على ما نقول، فضلاً عن أنّ ما أحرق وأتلف من تلك الكتب والآثار العلميّة الرائعة يفوق عمّا هو موجود الآن بعشرات المرّات أو يزيد، وقد صدق الأستاذ محمد علي القرداغي عندما قال: "ما بقي من آثار الكرد لا يمثّل كلّ أو جلّ ما قدّموه، بل لا يمثّل إلاّ نزرا يسيرا من ثمرات جهودهم، ولا نذهب بعيداً إذا قلنا إنّ ما تعرّض من آثار علماء الكرد للحرق والإتلاف المتعمّد، أو الإهمال الناشئ عن الجهل يعلو علو جبل من جبال كردستان"(١). لقد كان الكرد يمتلكون الآلاف من المدارس التي كانت حافلة بطلبة العلم، ورغم ندرة أدوات الكتابة من أقلام وأوراق وما إلى ذلك فقد تمكن علماء الكرد وطلبتهم من تأليف ونسخ مئات الآلاف من الكتب العلميّة القيّمة وفي مختلف المجالات، فضلا عن أعمال فنيّة رائعة، ويكفي هنا أن نضرب مثالاً واحدً يثبت ذلك ألا وهو شهادة الرحالة (أوليا جلبي) الذي طاف في

(١) محمد على القرداغي، ورود الكرد في حديقة الورود، ط١، دار آراس، أربيل، ٢٠٠٢، ص٥.

العديد من بلاد الكرد ودوّن شهاداته وانطباعاته عن الكرد، فقد تحدث عن الآثار العلمية التي كانت قلعة بدليس تحويها بقوله: "...من غير هذا كان هناك (٧٦) مجلداً من الكتب الفارسيّة والعربيّة والتركيّة من تأليف (عبدال خان) نفسه، مع (١٠٥) رسائل منوعة ومختلفة كان معظمها باللغة الفارسيّة، ... وكتب علم الهيئة والحكمة من مطبوعات الإفرنج، وكل من كان يراها كان يفقد وعيه لفرط جمالها، مع بضعة خرائط للعالم القديم والجديد والتي كان يدور رأس الناظر عند النظر إليها، مع أنواع الأعشاب والنباتات التي كان الأطباء يحتاجونها في علم التشريح، مع صور لجميع أعضاء جسم الإنسان بحيث لا يستطيع أي ناظر من التمييز بينها وبين الأعضاء الحقيقية، وكانت مصورة في بلاد الإفرنج، مع مئتي منظر ولوحة عجيبة كانت قد رسمت بأيدي العجم والإفرنج وكل واحد منها كان مثالاً للسحر الحلال"(١). ومن الجوانب المهمة التي برز علماء الكرد فيها الطرق الصوفية وتطويرها وتجديدها ونشرها بين الناس، ومن ألمع الأسماء في هذا المجال كل من الشيخ خالد النقشبندي(٢)، والشيخ نور الدين البريفكاني رحمهما الله، وكان كل واحد منهما مجددا لواحدة من أشهر الطرق الصوفية في العالم، فمولانا خاد النقشبندي يعد مجددا للطريقة النقشبندية، وكان له المئات من الخلفاء والمريدين والتكايا في كل من العراق وسوريا وتركيا وغيرها من البلدان، أما الشيخ نور الدين البريفكاني فقد كان مجددا للطريقة القادرية حيث أضاف إليها إضافات مهمة، وقام بتجديد ونشر الطريقة بعدما كادت تختفي في المنطقة لذلك أطلق عليه لقب الكيلاني الثاني، والكيلاني الصغير. إن الطريقة القادرية وبسبب انتشارها الواسع وكثرة أتباعها تفرعت عنها العديد من الفروع مثل: فرع الأشرفية، وفرع الرومية، وفرع الرسمية وغيرها في تركيا، والطريقة القادرية البودشتية، والطريقة القادرية العكرية، والطريقة الزعبية القادرية، والطريقة الكنزية القادرية، والطريقة القادرية الجعلية.. وغيرها العشرات من الفروع التي تفرعت عن الطريقة القادرية في البلدان العربية، أما في المناطق الكردية من العراق فقد تفرعت عن الطريقة القادرية طريقتان اثنتان هما الطريقة القادرية الكسنزانية، والطريقة القادرية البريفكانية التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث المتواضع.

---

(١) رحلة أوليا جلبي في كوردستان عام ١٠٦٥هـ _ ١٦٥٥م، ترجمة: رشيد فندي، ط١، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨م، ص٣١٧.

(٢) خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي، الكردي، الشهرزوري، فاضل، مرشد ومؤسس الطريقة النقشبندية في كردستان العراق، وإيران، والأناضول وسورية، ولد في قرية قره داغ من بلاد شهرزور سنة ١٧٧٨م، ...درس على يد والده وعلماء عصره المشهورين...توجه إلى دمشق الشام في أيام داود باشا (والي العراق) سنة ١٨١٣...كما زار القدس واجتمع بعلمائها ورجالها، وحج للمرة الثانية، ثم عاد إلى دمشق وتوفي بالطاعون سنة ١٢٤٧هـ". نقلا عن، الصويركي، الدكتور محمد علي، معجم أعلام الكرد، مطبعة مؤسسة حمدي للطبع والنشر، السليمانية، ٢٠٠٥م، ص٢٤٧.

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

من أسباب اختيار الموضوع هو أن الطريقة البريفكانية القادرية ليست معروفة بما فيه الكفاية لدى أغلب الباحثين في مجال الطرق الصوفية، فهذه الطريقة هي ضمن الطريقة القادرية المعروفة، إلاّ أنها تتمتع ببعض الخصوصيات، وأضاف إليها الشيخ نور الدين البريفكاني بعض الإضافات كما سيتبين خلال هذا البحث إن شاء الله تعالى، لذا يعتقد أنه سيكون لموضوع هذا البحث أهمية كبيرة بالنسبة للباحثين في التصوف من حيث الاطلاع على واحدة من الطرق الصوفية المنتشرة في الكثير من المناطق في العراق وتركيا ومصر وبلاد الشام والعديد من البلدان الأخرى.

أما المنهج الذي اتبع في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي، حيث تمّ وصف كل من الشيخ نور الدين البريفكاني والطريقة البريفكانية القادرية، ومن ثم تحليلهما والوقوف على الجوانب البارزة منهما، وتأثير ذلك على المريدين والأتباع بصورة إيجابية، وأدّى ذلك إلى تمسكهم الشديد بالشيخ نور الدين وطريقته في التصوف.

خطة البحث:

لقد قسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث، فالمبحث الأول خصّص لسيرة الشيخ نور الدين، وذكر فيه اسمه، ونسبه، وبعضا من صفاته، وكذلك ذكرت أسماء بعض من شيوخه، وتلامذته، وأمورا أخرى تتعلق بترجمته، أما المبحث الثاني فقد ذكر فيه جانب التصوف في حياة الشيخ نور الدين، وكذلك تم التطرق إلى ذكر آبائه وأجداده واهتمامهم بالتصوف، وأن أسرته كانت تتبع الطرقة الخلوتية في بداية عهدها بالتصوف، أما المبحث الثالث فقد خصّص لذكر انتساب الشيخ نور الدين للطريقة القادرية، ومكانته الكبيرة لدى أتباع هذه الطريقة، و المبحث الرابع خصّص لشرح بعض الفقرات من رسالة آداب السلوك للشيخ نور الدين وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ما أورده الشيخ نور الدين البريفكاني.

المبحث الأول : سيرة الشيخ نورالدين البريفكاني :

اسمه ونسبه:

هو السيد نور الدين بن السيد عبد الجبار بن السيد نور الدين بن السيد أبي بكر بن السيد زين العابدين بن الشيخ شمس الدين الخلوتي، ويصل نسبه إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب شجرة العائلة الموجودة لدي أحفاده[١].

---

(١) البريفكاني، الشيخ نور الدين، الأسرار والمعاني، جمع وتحقيق الشيخ وحيد الدين قطب الدين البريفكاني، مطبعة جعفر العصامي، بغداد، ٢٠٠٤م، ص٧.

ولادته وأسرته: ولد الشيخ نور الدين البريفكاني عام (١٧٩٠م)[١] ميلادية في قرية (بريفكا)[٢]، و ذكر بعض الكتاب أنه ولد في قرية (إيتيت)[٣] إلاّ أن الصواب هو ولادته في قرية (بريفكا) حيث صرح الشيخ نور الدين نفسه بذلك عندما قال: "أنا الحقير السيد نور الدين بن السيد عبد الجبار البريفكاني أصلا و مولدا، والإيتوتي مسكنا"[٤].

وللشيخ نور الدين بيتان للشعر يؤكدان ذلك وهما:

عبدىَ كو ئةظ ئينشا كرى   موشتاقىَ عةبدولقادرى

مةولود بريفكان ئاخرى ئيتوتة ساكن موددةتى[٥]

وترجمتها: العبد الذي نظّم هذا الشعر مشتاق لعبد القادر (يقصد الجيلاني)، المولود في بريفكا، والساكن في (أيتوت) مدّة.

هذا وقد أمضى الشيخ نور الدين رحمه الله مدة طويلة من حياته في قرية (إيتوت)، ومكث كثيرا في مغارات وكهوف جبل (مام سين) المطلّ على قرية بريفكا وبسبب إكثار الشيخ من ذكر اسم (إيتوت) في كثير من قصائده المتنوعة جعل الناس يظنون أنه ولد في قرية (إيتوت)، ومن ذلك قوله:

يا ربّ نور عالِمَ الجبروتي   يا برُّ أنزِل بِرّكَ الرحمـــــــــوتي

---

(١) ينظر: آميدي، صادق بهاء الدين، هوزانفانيت كورد (الشعراء الكرد)، بغداد، ١٩٨٠م، ص٤١٣. والمدرس، عبد الكريم، علماؤنا في خدمة العلم والدين، ط١، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣م، ص٦٠٤.

(٢) (بريفكا) قرية تابعة لقضاء الشيخان في محافظة دهوك_إقليم كردستان العراق، وهي قرية جميلة تقع بين عدد من الجبال، وتتميز بهوائها النقي المنعش، وأشجارها، وثمارها المتنوعة، وفيها عيون ماء كثيرة، وفيها التكية البريفكانية المعروفة التي تضم مرقدي الشيخ نور الدين البريفكاني، ومرقد جده الخامس الشيخ شمس الدين الأخلاطي البريفكاني رحمهما الله. ينظر: شرفنامه، الأمير شرف خان البدليسي، ترجمة: محمد جميل الملا أحمد الروزبياني، ط٢، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية، أربيل، ٢٠٠١م، ص٢٦٧، ورؤوف، عماد عبد السلام المعجم التاريخي لإمارة بهدينان، د.ط، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، ٢٠١١م، ص٧٧.

(٣) (إيتيت) قرية تقع في شرق محافظة دهوك وقد أصبحت الآن حيا من أحياء محافظة دهوك وتبعد عن قرية بريفكا بـ (٢٠) كيلومترا تقريبا، سكن فيها الشيخ نور الدين البريفكاني فترة من الزمن، وألف فيها عددا من كتبه ينظر: هروتي، سعدي عثمان، كوردستان والإمبراطورية العثمانية، ط١، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨م، ص٢٠٦.

(٤) الشيخ نور الدين البريفكاني، البدور الجلية فيما مسّت إليه حاجات الفقراء الصوفية، جمع وتحقيق الشيخ وحيد الدين قطب الدين نوري البريفكاني، ص٧٦.

(٥) زبانى كوردى ديوانا شيخ نوره دينى بريفكانى، جمع: الشيخ ممدوح البريفكاني، أعده للنشر: زاهد البريفكاني، ط١، مطبعة وزارة التربية، أربيل، ٢٠٠٢، ص١١.

والطف إلهي باسمك الرهبوتي واغفر لنور الدين ذا الأيتوتي
وارزقه أصفى وصلِ ماءٍ طاهر [١]

كان الشيخ نور الدين الأخ الأصغر من بين ثلاثة إخوة وهم السيد عبد الله المتوفى عام (١٧٦٨م)، والسيد محمد أمين المتوفى عام (١٧٨٨م)، زوجّه والده من (حليمة خاتون) بنت الشيخ (فيضي الكلي رماني) فأنجبت له ثلاث بنات:

١- صافية و هي التي كان الشيخ يكني بها.
٢- فاطمة التي زوّجها لخليفته عبد الحميد الأتروشي.
٣- پيروز التي زوّجها من خليفته و ابن أخيه الشيخ محمد نور بن الشيخ عبد الله[٢].

هذا ولم يرزق الشيخ نور الدين البريفكاني بأولاد ذكور لذلك فإن الشيوخ الحاليين يتصلون بالشيخ نور الدين من خلال بنتيه فاطمة و پيروز [٣].

صفاته: من صفاته الخِلقِيّة أنه كان متوسط القامة، وكان حنطي البشرة، مدور الوجه أسود الشعر، وكان متبسما، وله صوت ناعم، سريع البديهة، يقضي أغلب لياليه في الكهوف والمغارات يذكر الله تعالى ويتعبّد، وفي النهار كان يلقي الدروس العلميّة على الطلبة، وكان رجلا مضيافا يزوره الناس من كل حدب وصوب[٤].

لقد انتشر صيت الشيخ نور الدين البريفكاني في الآفاق، وقصده خلق كثير من شتى الأصقاع من كردستان وخارجه، وتربوا على يديه، ونهلوا من علمه، وتعلموا منه الزهد والورع والتقوى، هذا وقد بلغ الشيخ نور الدين درجة القطبية[٥]في الطريقة القادرية، وقام بنشر الطريقة القادرية بين الكرد، واستمد من الطريقة القادرية الطريقة القادرية البريفكانية[٦].

---

(١) ينظر: محي، شهاب أحمد، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته وشعره، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية في جمهورية السودان، سنة ٢٠١٤م، ص٢٧.

(٢) صوفي، عبد الصمد، الدر المبين في مآثر الشيخ نور الدين البريفكاني، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ص٢٥.

(٣) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، مطابع الناشر العربي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص34.

(٤) ينظر: محمد أمين، أكرم عبد المهاب، اللطف الداني من مناقب الشيخ نور الدين البريفكاني، الموصل، مطبعة الجمهور، ١٩٨٢م، ص٦٦.

(٥) القطبية مرتبة متقدمة جدّاً في عالم التصوف، وورد في موسوعة التصوف: "والقطب عند الصوفية شخص لا لا يخلو منه زمان، وهو في درجة الولاية، وممن خصهم الله تعالى بالعناية والكرامات، وفي الوجود دوما أقطاب". نقلاً عن: سمو، آزاد سعيد وآخرون، موسوعة التصوف الميسرة، ط١، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٥، ص١٢٣.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٥٣.

نشأته وتلقيه العلم: نشأ الشيخ نور الدين في بيت علم و زهد و صلاح، حرص والده منذ طفولته على توجيهه و حثه للتعلم والتفقه، حيث تعلم قراءة القرآن الكريم و بعض العلوم الأولية في قريته (بريفكا)، ثم تنقل في الكثير من المدن الكردستانية طلبا للعلم مثل: (آميدي، وشوش، وكويسنجق، وشقلاوة، وأربيل، والموصل، وبغداد) غير أننا نستطيع القول أن دراسته الحقة كانت في مدينتي العمادية و الموصل، ففي مدينة العمادية حيث كان هناك مدرسة (قبّهان) المشهورة والتي تتلمذ فيها الشيخ على يد (الملا يحيى المزوري)[١] شتى العلوم الشرعية[٢].

أما الموصل والتي كانت تزخر بخيرة العلماء الفطاحل في ذلك الزمن، فقد تتلمذ الشيخ على أيديهم و نهل من علومهم و معارفهم، و كان يرتاد مجالسهم و يستمع إليهم بكل أدب ووقار، وكان هو الآخر على درجة كبيرة من الفهم والدراية والذكاء، وكان حريصا على بناء شخصيته العلمية من خلال العلوم والمعارف المتعددة التي تلقاها على أيدي العلماء في الموصل وكان ذلك في حدود عام (١٨٠٥م)[٣]، يقول الشيخ عن تلك الفترة: "وهذه الحالة صحت لي وأنا في الموصل وكنت ابن نحو (عشرين) سنة، وقد جرت عليّ أمور يحصيها كلامي ولا يمليها قلمي، إذ كنت ذا حظ"[٤].

أما مدينة بغداد فقد توجّه إليها الشيخ في عام (١٨١٩م) قاصدا الحضرة القادرية، وأخذ الطريقة القادرية بسند آخر، وأشار إلى ذلك في قصيدة له باسم الحقائق حيث قال فيها:

من يبتغ الطرق القيّمة   يسلك في الدين المتّضح[٥].

---

(١) هو يحيى بن حسين المزوري، نشأ ببلاده، وأخذ العلم على عدة مشايخ منهم العلامة الشريف عاصم بن إبراهيم الحيدري، ودرس العلوم النقلية والعقلية وكتب الحديث سبعين مرة، وأخذ الطريقة النقشبندية عن شيخنا قطب العارفين حضرة مولانا خالد، وكان حضرة مولانا خالد كثير المحبة وكثير الاحترام له، وكانت وفاته في بغداد سنة ١٢٥٠. المدرس، علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص٦٢١.

(٢) ينظر: محمد أمين، اللطف الداني من مناقب الشيخ نور الدين البريفكاني، ص١١.

(٣) السلفي، حمدي عبد المجيد والدوسكي، تحسين إبراهيم عقد الجمان في تراجم العلماء والأدباء الكرد والمنسوبين إلى قرى ومدن كردستان، د.ط، مكتبة الأصالة والتراث، الشارقة، ٢٠٠٨م ج١، ص٢٠١.

(٤) البريفكاني، الشيخ نور الدين، البدور الجلية في ما مست إليه حاجات الفقراء الصوفية، جمع وتحقيق الشيخ وحيد الدين قطب الدين البريفكاني، د.ط، مطبعة الثقافة والشباب، أربيل، ١٩٨٦م، ص٣٠٩ .

(٥) ينظر: محي، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته وشعره، ص٤٠.

شيوخه:

ينقسم شيوخه إلى قسمين:

أولا : شيوخه في العلوم الشرعية:

لقد تتلمذ الشيخ نور الدين في حياته العلمية على يد خيرة علماء المنطقة حيث كان حريصا على اختيار العلماء الكبار لكي يدرس على أيديهم، ويتفقه منهم، و فيما يأتي ذكر لأسماء أهم شيوخه في العلوم الشرعية، فكان منهم: الملا يحيي المزوري(ت١٨٣٣م)، والشيخ حسن الحبيطي[١]، والشيخ أبو بكر عبد الرحمن الدباغ، والشيخ سليمان الكردي البرويني، والملا عبد الرحمان بن ملا عيسي الموصلي، شهاب الدين أحمد أفندي خياط زاده، والعلامة يوسف الرمضاني، والعلامة أحمد أفندي محضر باشي[٢].

ثانيا: شيوخه في التصوف:

كان للشيخ نور الدين البريفكاني عدد من الشيوخ في التصوف ومن أبرزهم: الشيخ عبد الجبار البريفكاني(والده)(ت١٨١٥)، والشيخ عبد الوهاب الشوشي، الشيخ نور محمد شاه الهندي النيسابوري، والشيخ محمود عبد الجليل الموصلي الكردي(ت١٨١٥)[٣].

خلفاؤه:

كان للشيخ نور الدين البريفكاني عدد لا بأس به من الخلفاء وكان أكثرهم من أهل بيته وأقاربه، فضلا عن خلفاء آخرين من مناطق شتى[٤]، و فيما يأتي ذكر لبعض من خلفائه وهم: الشيخ عبد الحميد بن الشيخ شمس الدين البريفكاني(ت١٨٨٧م)، والشيخ أبو عبد الله الشيخ محمد بن السيد جرجيس النوري الموصلي(ت١٨٨٧م)، والشيخ أبو عبد الله الحسن الحبار(ت١٩٠٩م)، والسيد محمد نوري القادري(ت١٨٨٧م)، الشيخ عبد الله الفيضي(١٨٩١م)، الشيخ عثمان الرضواني(ت١٨٩٦م)، الحاج أحمد السبعاوي(ت١٨٩٤م)، الشيخ سلطان بن الشيخ مصطفى الرشيدلي(ت١٨٣٩م)[٥]، والشيخ طه البريفكاني(ت١٩١٧م)، والشيخ عبد القهار بن الشيخ عبد الجبار البريفكانيت١٩١٧)، والشيخ طه السليفاني(١٨٨١م).

---

(١) لقد بحثت كثيرا عن تاريخ وفاة بقية شيوخه إلا أنني لم أعثر عليها.

(٢) المصدر نفسه، ص٤١.

(٣) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٤١.

(٤) البريفكاني، الشيخ وحيد الدين قطب الدين نوري، العالم الرباني، الشيخ نور الدين البريفكانيى وآثاره، مطبعة الثقافة، أربيل، ١٩٨٤م، ص٢٠.

(٥) ينظر: محمد أمين، اللطف الداني من مناقب الشيخ نور الدين البريفكاني ص٥٠.

آثاره: لقد ترك الشيخ نور الدين البريفكاني أكثر من ثلاثين مؤلفا في التصوف، والزهد، والأدب، وقد طبع البعض منها، ولازال البعض منها مخطوطا لم ير سبيله إلى الطباعة بعد، وربما ضاعت البعض منها ولم تصل للباحثين والمهتمين بها، وفيما يأتي ذكر لأهم آثاره:

١- البدور الجلية في ما مست إليه حاجات الفقراء الصوفية، وهو من أشهر مؤلفاته، ذكر فيه العديد من الأمور المتعلقة بالتصوف و آدابه، وذكر فيه محاسن الطريقة القادرية و تفضيليها على سائر الطرق الصوفية الأخرى، جمعه و حققه الشيخ وحيد الدين قطب الدين البريفكاني، ولقد طبع الكتاب عام ١٩٨٦م في أربيل، مطبعة الأمانة العامة للثقافة والشباب، وعدد صفحاته (٤١٦) من القطع المتوسط.

٢- بغية الصوفية في رجال سلسلة الطريقة القادرية، ذكر في هذا الكتاب سير مشايخ الطريقة القادرية، جمع فيه الشيخ نور الدين سير عدد من أشهر الشيوخ الذين عاشوا في المنطقة، كما يحتوي على عدد من النصائح والآداب والأذكار، وهو لا زال مخطوطا.

٣- تلخيص الحكم، وهو شرح لكتاب (الحكم العطائية) لابن عطاء السكندري، جمع فيه الشيخ نور الدين عدة شروح لكتاب (الحكم العطائية)، كما أضاف إليه توضيحات لبعض المسائل، وهو أيضا مخطوط.

٤- ديوان الشيخ نور الدين البريفكاني، جمع وتحقيق: الشيخ وحيد الدين البريفكاني، طبع عام ١٩٩١م في مطبعة الثقافة والشباب في أربيل، ويقع في (١٧٥) صفحة من القطع الصغير.

٥- مكتوبات الشيخ نور الدين البريفكاني، وهي عبارة عن عشرين مكتوبا أرسلها الشيخ إلى العديد من خلفائه وتحتوي على بعض النصائح والتوجيهات والإرشادات المتعلقة بالطريقة، وهو أيضا مخطوط.

٦- المعشّرات، وهي قصائد مكونة من مقاطع حسب الحروف الأبجدية، وكل مقطع يتكون من عشرة أبيات، وتدور تلك القصائد حول المقامات والأحوال العليّة، وهو أيضا مخطوط.

٧- الجوهر المكنون، وهو شرح لقصيدة (قرة العيون) في السلوك، وهو أيضا لا زال مخطوطا.

٨- شرح قصيدة السيد العارف أسعد أفندي الموصلي وهي قصيدة ذكرت فيها فضائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهو أيضا مخطوط. فضلا عن الكثير من المؤلفات الأخرى في الكثير من العلوم والفنون المختلفة والتي تمّ نقل أكثرها إلى المكتبة العثمانية في استانبول، ونقل البريطانيون قسما منها إلى مكتبة المتحف البريطاني أيام الاحتلال البريطاني للعراق[(١)].

---

(١) ينظر: محي، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته وشعره، ص٦١ وما بعدها، والبريفكاني، الشيخ وحيد الدين قطب الدين نوري، العالم الرباني، الشيخ نور الدين البريفكانيى وآثاره، ص٦٣، والدهوكي، ملا محمد سعيد ياسين البريفكاني، فضلاء بهدينان، مطبعة خبات، دهوك، ١٩٩٧م، ص٦٦.

وفاته:

لقد تنقل الشيخ نور الدين البريفكاني في الكثير من المدن و القرى طلبا للعلم، وبعدما أكمل دراسته العلمية، وبلغ درجة كبيرة في التصوف والإرشاد عاد إلى موطنه كردستان لكي يقوم بدوره في نشر العلم، و إرشاد الناس لسلوك الطريق المستقيم، فاستقر مدة من الزمن في قرية (إيتيت) ثم ذهب إلى قرية (أتريش) و بقي فيها مدة ثم انتقل إلى قرية (براش) ثم استقر به المقام في قريته (بريفكا)، و"أخذ بنشر طريقته التي انتشرت في مدة قصيرة خاطفة في لواء الموصل، وأربيل، وبين الكوجرية، وصار له خلفاء وأتباع كثيرون"(١)، وقد بقي الشيخ نور الدين البريفكاني في قريته (بريفكا) حتى وفاته عام (1851م) ميلادية ودفن فيها، و مرقده لازال موجودا فيها جنبا إلى جنب مع جده الخامس الشيخ شمس الدين الأخلاطي(٢)، و كان الشيخ قد أوصى بأن يتولّى خليفته (الملا علي)(٣) غسله وتكفينه إلا أن هذا الأخير لم يكن موجودا هناك عند وفاته فانتظر أهله ومريدوه إلى أن جاء (الملا علي) حيث نفّذ وصيته وغسله ودفنه في تكية بريفكان(٤).

المبحث الثاني : الشيخ نور الدين البريفكاني والتصوف:

نشأ الشيخ نور الدين في بيت علم ودين، وكان منذ صباه يحب العلم ومجالسه، وكان يجتهد في طلب العلم والمعرفة والارتقاء في مدارج السالكين، لقد كان أجداد الشيخ نور الدين ينتسبون إلى الطريقة الخلوتية(٥) لا سيما جده الخامس الشيخ شمس الدين الأخلاطي المتوفى عام (١٦٧٤م)، وبطبيعة الحال فإن أول خطوة للشيخ نور الدين البريفكاني قد بدأت بأخذه بطريقة الخلوتية من والده الشيخ عبد الجبار البريفكاني(٦).

---

(١) المايي، أنور، الأكراد في بهدينان، ط٣، مطبعة خبات، دهوك، ١٩٩٩م، ص٩٣.

(٢) السلفي، حمدي عبد المجيد والدوسكي، تحسين إبراهيم، معجم الشعراء الكرد، ط١، مطبعة حجي هاشم، أربيل، ٢٠٠٨م، ص١٩٧.

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) ينظر: البريفكاني، الشيخ ممدوح، لاله شين (ديوان شعر)، جمع وإعداد: زاهد البريفكاني، ط١، مطبعة APec FOLag، ستوكهولم ١٩٩٧م، ص٢٤.

(٥) تنسب هذه الطريقة الصوفية إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، المتوفى في مصر سنة٩٨٦هـ، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري، وقد ادعى الخلوتي أنه أخذ طريقته من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة في اليقظة، لا في المنام، وكان يقول: "طريقتي محمدية". نقلا عن: سمو، آزاد سعيد وآخرون، موسوعة التصوف الميسرة، ص٣٧٦.

(٦) السلفي، حمدي عبد المجيد والدوسكي، عقد الجمان، ج٣، ص١٠٤٣.

ويبدو أن الشيخ نور الدين لم يستمر طويلا في سلوك الطريقة الخلوتية فقد انتسب إلى الطريقة الصوفيّة المعروفة (النقشبندية)(١) في وقت مبكر جدّاً من حياته حيث لم يكن عمره قد تجاوز العشرين، وكان في ذلك الوقت يدرس العلوم الشرعية في مدينة الموصل "فأخذ الطريقة من الشيخ عبد الوهاب بن علي الكردي العمادي العقراوي السوسي[الشوشي]، و هو أخذ من الشيخ خالد الكردي الشهير بالشيخ ضياء الدين السليماني النقشبندي، لكنه بعد مدة وقع بينه و بين الشيخ عبد الوهاب وحشة و منافرة، لذلك ترك الطريقة النقشبندية و هاجم الشيخ عبد الوهاب في بعض مقالاته "(٢).

يتبين مما سبق أن الشيخ نور الدين البريفكاني لم يستمر في سلوك الطريقة النقشبندية أيضا لفترة طويلة ربما لأنه لم يجد ضالته فيها، وكانت هذه هي المرة الثانية التي يترك فيها الشيخ نور الدين الطريقة التي سار عليها فترة قصيرة من الزمن حيث يقول:"ودخلت في الطريقة النقشبندية مقدار أيام على يد ناقص مدعي الكمال، فرأيت في الرؤيا و الواقعات أكثر من خمسين مرّة ما حملني على الرجوع من عنده"(٣)، والذي يبدو هو أن الشيخ نور الدين لم يتأثر بـ(الشيخ عبد الوهاب الشوشي) الذي لم يذكر اسمه في كلامه السابق، وأنّه لم يختر الطريقة النقشبندية لكي يسير عليها، و ربما يعود أحد أسباب ذلك إلى كونه قد أخذ الطريقة النقشبندية في المرة الأولى عن الشيخ عبد الوهاب الشوشي(٤) الذي طرد من الطريقة النقشبندية، ومهما كانت الأسباب و الظروف و الملابسات فإن الذي يهمنا هو أن الشيخ نور الدين لم يستمر في سلوكه في الطريقة النقشبندية سوى خمسة أيام كما صرح بذلك هو بنفسه، و صرح بأنه رغم تلمسه للأنوار، ومنافع الطريقة النقشبندية إلا أنه عانى معاناة شديدة جراء تلك الأيام الخمسة التي قضاها في الطريقة النقشبندية، وشعر أنه بدأ يبغِض أناسا دون أن يرتكبوا في حقه ما يوجب ذلك، وبدأ يوجه للآخرين الألفاظ القبيحة لذا قرّر ترك تلك الطريقة على الفور، حيث يقول: "فإني أيضا دخلت

---

(١) النقشبندية: هي إحدى الطرق الصوفية، وتنتسب إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند (ت٧٩١هـ)، واشتق اسمها منه، ومن ثم عرفت به، ونقشبند _أو بالأحرى نقش بندر_ يعني: ربط النقش، والنقش هو انطباع الذكر على القلب وربطه، أي بقاؤه من غير محو، والطريقة على ذلك أساسها الذكر, نقلاً عن: سمو، آزاد سعيد وآخرون، موسوعة التصوف الميسرة، ص٢٤٤.

(٢) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٢٨.

(٣) البريفكاني، البدور الجلية في ما مست إليه حاجات الفقراء الصوفية، ص٦٢.

(٤) عبد الوهاب السوسي أو الشوشي، كان واحداً من خلفاء مولانا خالد النقشبندي إلاّ أنه قام بجمع الأتباع والمريدين حوله وكان يعمل على تأسيس طريقة خاصة به بعيدا عن سلطة وهيمنة مولانا خالد النقشبندي فقرّر هذا الأخير طرده من الطريقة النقشبندية وإبلاغ كافة خلفائه بذلك. ينظر: سمو، آزاد سعيد، مولانا خالد الشهرزوري النقشبندي ومنهجه في التعامل مع خصومه، ص٢٦.

طريقة الشيخ عبد الوهاب المذكور مقدار خمسة أيام، فشاهدت منافعها وخصوصياتها، لأني كنت بالعزم الصادق، و النية الخالصة، فتراءت لي أنوارها كثيرا، ولكن وقعت في الحظوظ النفسانية، و أبغضت الناس، ووقعت مني الألفاظ القبيحة في حقوق المنكرين ولو كانوا لنا من الناصحين"(١).

واضح من كلام الشيخ نور الدين البريفكاني أنّه تأثر بالطريقة النقشبندية التي دخل فيها على يد الشيخ عبد الوهاب وأنه أحبها كثيرا واندمج معها، ورأى أنوارها حسب وصفه، إلاّ أنه رغم ذلك اكتشف أنّه قد تغيّر من الناحية التربوية حيث بدأ يبغض الناس ويكرههم، ويتلفظ بالألفاظ القبيحة، وغيرها من السلوكيات السيئة، لذا قرّر ترك تلك الطريقة على الفور رغم كونه لم يمرّ عليه دخوله فيها سوى خمسة أيام!!

بعدما ترك الشيخ نور الدين الطريقة النقشبندية قام بصرف جلّ وقته واهتمامه بدراسة العلوم الشرعية على يد خيرة العلماء الذين سنحت له الفرصة لأخذ العلم عنهم، ولم يلتفت إلى أية طريقة صوفيّة إلى أن تمكّن من الحصول على الإجازة العلمية، ونال قسطا وافرا من العلوم والفنون، وبعد ذلك وفي عام (١٨١٤م) أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ محمود عبد الجليل الكردي الموصلي(٢)، وسمح له هذا الأخير بنشر الطريقة القادرية في كردستان، بعدما أخذ الشيخ نور الدين الطريقة القادرية ولبس الخرقة صرح بأن الطريقة القادرية هي من أفضل الطرق الصوفية حيث قال: "فإذا علمت هذا وحققت لبّه حكمت على أفضلية طريق شيخ الإسلام أبي محمد الشيخ عبد القادر الكيلاني(٣)– قدس الله سره– الذي مداره على القيام بأمر الله تعالى في جميع ما جرت به السنة الغرّاء والسنة كما ترى توزع الوظائف الكثيرة بين الأوقات المختلفة"(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ص٣١.

(٢) محمود بن عبد الجليل العقري، الموصلي، الشافعي، الأشعري، الكردي، ولد في مدينة الموصل سنة ١٧٦٩م، كان عالما فاضلاً وزاهدا تقيّاً، وكان من مشايخ الطريقة القادرية، وكان عالما بالتفسير والحديث والفقه والتصوف وعلم الكلام والشعر، وكان له نظم، وكان يجيز المريدين في الطريقة القادرية، ومن أبرز مريديه الشيخ نور الدين البريفكاني، توفي في الموصل عام ١٨٣٧. ينظر: السلفي، حمدي عبد المجيد والدوسكي، عقد الجمان، ج٣، ص١٠٢٩.

(٣) عبد القادر بن موسى الحسيني، محي الدين الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان، وانتقل إلى بغداد شابا سنة ٤٨٨، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ وتوفي بها. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٠.

لقد وجد الشيخ نور الدين البريفكاني بغيته في الطريقة القادرية، واقتنع بها، وأيقن أنها هي الطريقة الحريّة بالاتباع، لذلك دخل فيها متحمّسا، وغرق في بحارها وأثرت في نفسه وروحه وكيانه إلى درجة عبر هو عن ذلك بقوله: "ثم لاح لنا شمّ الوصال من المسك والعنبر في بقاع متعددة، وتوالى عليّ الأحوال الجذبيّة حين كان يغمى عليّ أحيانا في الجذب، حيث لا أشعر بالبرد والحرّ والثلج والنار، مستغرقا في شهود دائم من نور رؤية الحقّ، وتجلي الأنوار الإلهيّة"[١].

ويبدو من كلام الشيخ نور الدين الآنف الذكر أنه سلك مدارج الطريقة القادريّة وارتقى فيها خلال فترة قصيرة، وقد أثّرت الطريقة القادريّة فيه وفي كيانه إلى درجة أنّه كان يغمى عليه مرارا، إلى أن بلغ مرحلة الشهود وهو حال يصل إليه قلّة من الصوفيّة، ولا يرى ضرورة في إثباتها، أو محاولة تصديقها من قبل الآخرين، ويبدو أن هذه المرتبة هي أخصّ مراتب التصوف حيث يرى جمال وجلال الله عزّ وجلّ في جميع ما تشاهده عيناه في هذا الكون الواسع.

المبحث الثالث : الشيخ نور الدين البريفكاني والطريقة القادرية :

بعدما استقر الشيخ نور الدين البريفكاني على الطريقة القادرية و سار في أغوارها، وتدرج في منازلها، وبلغ المراتب العالية فيها بشهادة كبار شيوخ الطريقة القادرية في زمانه، بدأ الشيخ نور الدين بتجديد الطريقة القادرية، لذا أطلق عليه البعض لقب الكيلاني الصغير، والكيلاني الثاني لأن الطريقة القادرية كانت قد اندثرت في المنطقة وكادت أن تختفي تماما فقام الشيخ نور الدين البريفكاني بتجديدها، و"اكتسب شهرة عظيمة في الأرجاء كلها، وهي غنية عن البيان، حيث ظلت الطريقة القادرية في بهدينان واشتهرت به من بعده أمدا طويلا"[٢]، كما أضاف إليها إضافات مهمة متمثلة بـ فرع الطريقة القادرية المسماة بـ (الطريقة القادرية البريفكانية) وعاد إلى قريته (بريفكان) و"جاء الشيخ ليصلح ما أفسدته السنون، و يصحح ما شوهه المخالفون، لإرجاع الطريق إلى واضحات معالمه البهية، ويظهر التصوف بمفهومه الأصيل بالبرهان و الدليل، وما أتبعه من الطرق العلمية المشروعة التي سلكها أهله للوصول إلى مقامات الإحسان"[٣].

لقد توسعت الطريقة القادرية في انتشارها على يد الشيخ نور الدين البريفكاني في كل من العراق، وتركيا، وسوريّا، وفي بلدان أخرى بعد وفاته مثل لبنان، ومصر وبلدان أخرى[٤].

---

(١) محمد أمين، اللطف الداني من مناقب الشيخ نور الدين البريفكاني، ص٣٣.

(٢) الدهوكي، فضلاء بهدينان، ص٦٦.

(٣) محي، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته وشعره، ص٤١.

(٤) ينظر: سمو، آزاد سعيد وآخرون، موسوعة التصوف الميسرة، ص٣٥٤.

لقد حاول الشيخ نور الدين البريفكاني تقديم التصوف نقيّا مما علق به من الخرافات والأباطيل والانحرافات، لذا نراه يستند كثيرا على ما ورد في القرآن والسنة، ويلقي الدروس العلمية الشرعية على طلبته جنبا إلى جنب الطريقة الصوفية التي كان يتبناها ويسلكها.

لقد كان للشيخ نور الدين البريفكاني مكانة كبيرة بين الناس ولازال يحتفظ بتلك المكانة رغم وفاته، وشهد بفضله القاصي والداني لاتصافه بجملة من الصفات الرائعة من تواضع وزهد وتسامح واحترام الآخرين و"كان يجلس حيث ينتهي به المكان، ولم يكن يضايق الناس على الجلوس في صدر المجالس، حتى كان في بعض الأحيان يقدم مريديه وأتباعه على نفسه"[١].

ومما زاد من مكانته الكبيرة بين الناس أنه كان دوما مع الفقراء، لصيقا بهم، وكان يؤثرهم على الحكام و الأمراء، حيث كان يعتقد بأن اغلب أموالهم إما من الحرام، أو فيها شبهة الحرام، لذلك لم يثبت أنه راسل أحد الأغنياء، أو الأمراء طلبا للمال كما كان يفعله البعض من الشيوخ و العلماء ولا يزالون، ويحكى "أن الوزير الأعظم علي باشا حين جاء إلى الموصل اشتاق إلى رؤية الشيخ نور الدين البريفكاني، فأرسل إليه بعض الأكابر يلتمس منه ويخبره بأنه يرسم له خمس عشرة قرية من قرى الجبل (للتكية([٢]) النورية) بعد المواجهة، وكان غرض الوزير طلب زيارته والتبرك برؤيته، فأبى ذلك ولم يفعل، ولم يقبلها، ولم يواجهه، وقال: إني لا أواجه ظالما بسبب غرض من الدنيا وهذا كان حاله"[٣].

لقد شاع عن كثير من أرباب الطرق الصوفية حبهم وشغفهم للحصول على الأموال والأراضي والأملاك وغيرها من متاع الدنيا حتى وإن كانت بطرق غير مشروعة أو فيها شبهة على أقل تقدير، وقد أدى ذلك إلى سقوط الكثير منهم في أعين الناس، واتهامهم بالجشع، ومخالفة ما يربون الناس عليه من الزهد والتعفف والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا الزائل، أما الشيخ نور الدين البريفكاني فقد كان شيئا آخر، حيث كان زاهداً قولاً وفعلاً وخير دليل على ذلك رفضه استلاف (خمس عشرة) قرية بأراضيها وخيراتها من الوزير الأعظم لأنه لم يكن يعير المال اهتماما كبيرا، ولاعتقاده أنّ ذلك لا يحلّ له لأنها عائدة لأصحابها وساكنيها[٤].

---

(١) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٣٨.

(٢) التكية: عبارة عن مكان خاصّ تجتمع فيه الصوفيّة والدراويش، ويقيمون فيه حلقات الذكر في ليال معينة من الأسبوع، كما أنه يؤوي غالبا المسافرين، ومن انقطعت بهم السبل، فيقدم إليهم الطعام والشراب والفرش للنوم، والتكية كلمة تركية تقابلها (الخانقاه) في الفارسية، و (الزاوية) في اللغة العربية. نقلاً عن: سمو، آزاد سعيد وآخرون، موسوعة التصوف الميسرة، ص٥٨

(٣) البريفكاني، الشيخ نور الدين، الأسرار والمعاني، ص٣.

(٤) ينظر: الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٤١

هذا وقد كان الشيخ نور الدين فضلاً عن كلّ ذلك فارسا في ميدان الأدب بصورة عامة والشعر على وجه الخصوص حيث نظم العديد من القصائد الصوفيّة باللغة العربية والكردية والفارسية، حيث كان له إلمام جيّد بهذه اللغات الثلاث، "وديوانه الشعري يحتوي على قصائد بتلك اللغات، مما يشير إلى سعة ثقافته، وعلو باعه في العلم والأدب، وأولع في تخاميس القصائد المشتهرة بالحب الإلهي، وكان من عشاق هذا المسلك ودعاته"(١)، وكان الشيخ نور الدين يتخذ من الشعر والقصائد وسيلة لنشر الطريقة القادرية، وفضائل الصفات، والزهد بين الناس، فهناك من الناس من يؤثر عليه الشعر أكثر مما يؤثر عليه الكلام العادي.

للشيخ نور الدين البريفكاني رسالة في آداب السلوك تطرق فيها إلى جملة من الآداب المهمة التي ينبغي على المريد أن يراعيها أثناء سيره في سلوك الطريقة القادرية، و يبدو أن الشيخ كان يعير اهتماما كبيرا بتلك الآداب ويؤكد عليها حيث إنه كان يذكّر بها خلفائه دوما في ثنايا رسائله التي كان يبعثها إليهم، فآداب السلوك التي حددها الشيخ نور الدين ذكرها جملة في رسالة سماها (آداب السلوك)، و في العديد من رسائله كان يشير إلى بعض من تلك الآداب، وربما يكون السبب في ذلك كون الشيخ قد اطلع على تقصير بعض خلفائه و مريديه في بعض جوانب آداب السلوك مما دفع به للتركيز والتأكيد عليها، و إلا فهي مذكورة جملة في رسالة (آداب السلوك).

المبحث الرابع : شرح فقرات من رسالة (آداب السلوك) للشيخ نور الدين:

للشيخ نور الدين العديد من الآراء والتوجهات حول عدد من القضايا المتعلقة بالتصوف لاسيّما الطريقة القادريّة، وقد ذكرها في عدد من مؤلفاته، إلاّ أنه خصّ رسالة (آداب السلوك) لذكر أهم الآداب التي ينبغي على المريد التحلّي بها، وذلك قبل وأثناء الدّخول في الخلوة، وفيما يأتي بعض الفقرات المهمة من تلك الآداب سوف نذكرها ثم نعلق عليها:

يقول الشيخ نور الدين البريفكاني في حق الشيخ الذي يتخذه المريد: "ينبغي أن تعتقد فيه كمال الولاية، وبلوغ مقام الإرشاد لينفعك، فإن لم تكن بهذه العقيدة فلا ينفعك، ثم اذهب إليه وامتثل له واقبل ما يلقيه في الآداب الظاهرة والباطنة"(٢).

يري الشيخ نور الدين وسائر أرباب الطرق الصوفية أنه يجب على المريد أن يعتقد في شيخه هذه العقيدة، وإلا فليس بإمكانه الاستفادة منه في تزكية نفسه، والارتقاء في مدارج السالكين، كذلك يعتقدون بأنه يجب على المريد أن يسلم أمره إلى شيخه ويكون كالميت بين يدي غاسله يقلّبه كيف يشاء، ليس له حول ولا قوة ولا يملك من أمره شيئا، فالمريد يجب أن يكون مسلوب الإرادة تجاه شيخه، ولا يجوز له أن يعترض عليه، أو يردّ له أمرا، لذا فالمتعارف عليه بين المتصوفة

(١) محي، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته وشعره، ص٣٢.

(٢) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

قولهم: " من صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة"(١)، "ثم إذا وردك وأدخلك في بيت الخلوة ينبغي أن يكون أمره لك بهذه الآداب والشروط: فاغتسل كغسل الميت أولا"(٢).

أما الخلوة فهي: ابتعاد الصوفي عن البشر بصورة مؤقتة حيث يقضي وقتا حسب اختياره وحاجته لكي يتفرد بذكر الله تعالى، وعبادته، وقراءة الأوراد، والتأمل في نفسه ومحاسبتها، ويشترط في مكان الخلوة أن يكون هادئا، وبسيطا، وبعيدا عن أعين الناس سواء كان داراً، أو تكيّة، أو مغارة، وأن يكتفي بأقلّ من القليل من طعام وشراب وفراش لكي يتمكن من تحقيق أهداف الخلوة(٣).

يرى الصوفية أنهم ومن خلال عبادة (الخلوة) يقتدون برسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، حيث بدأت دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من غار حراء الذي كان يختلي فيه في كلّ مرّة عدّة ليالٍ حيث كان يتأمّل، ويتفكر في نفسه وفي هذا الكون، فقد ورد أن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت: "كان أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه، قال والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء"(٤).

ويعتقد الشيخ نور الدين بأن الدخول في الخلوة عبادة والاغتسال قبل البدء بسائر العبادات مستحب لذلك حث المريد على ذلك في قوله: "وإذا دخلت الخلوة فاعلم أنها قبرك فتب إلى الله من جميع الذنوب، وانو أن لا ترجع إليها أبدا"(٥).

يقرر الشيخ نور الدين هنا أنه على المريد قبل البدء بالخلوة أن يتوب من جميع الذنوب، وأن يعتبر مكان الخلوة قبرا، فكما أن من علم أنه سيدخل القبر بعد قليل فإنّه سيتوب إلى الله عزّ وجلّ من جميع الذنوب، فكذلك الحال بالنسبة لمكان الخلوة حيث يوجّه الشيخ نور الدين مريديه أن يعتبروه قبرا، وكذلك ينصح المريد أن يعزم على عدم العودة إلى المعصية ثانية لكي تكون توبته توبة نصوحا، وهذا سيعينه على البدء بواجبات الخلوة بصورة تامة حيث يكون تائبا من

(١) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت٤٦٥)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج٢، ص٥٠١.

(٢) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

(٣) سمو، آزاد سعيد وآخرون، موسوعة التصوف الميسرة، ص٨٠.

(٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦)، صحيح البخاري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت، ص١٠٩٠، رقم الحديث: ٤٩٥٣.

(٥) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

ذنوبه، نقي السريرة من أدران الذنوب والمعاصي، "فإذا جلست فلازم الاشتغال بقول: لا إله إلا الله بلا إحصاء"(١).

يبدو أن كلمة (لا إله الا الله) هي أول ما يبدأ المريد خلوته بها لأنه أفضل الذكر كما ورد في حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) حيث يقول: "سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول أفضل الذكر لا إله إلا الله"(٢).

هذا وقد حدّد بعض أرباب التصوف عدد مرّات التلفظ بذكر (لا إله إلاّ الله) فقالوا أن من تلفظ بها (ألف) مرة فله كذا وكذا، وأن من تلفظ بها (سبعة آلاف) مرة فله كذا، إلى ما هناك من الأعداد التي تحدثوا عنها، أما الشيخ نور الدين البريفكاني فإنه لا يعوّل على العدد، ولا يحدده، بل يقول (بلا إحصاء)، ويبدو أنه لم يذكر العدد تأكيدا منه على العدد الكثير جدا بحيث لا يعلم الذاكر كم مرّة تلفظ بها، وربما امتنع عن تحديد العدد تأدبا مع الله سبحانه وتعالى، وأن ذكر (لا إله إلاّ الله) له من المهابة والرهبة والتعظيم بحيث لا ينبغي لأرباب السلوك التعلق بعدده، "فإذا جاء وقت صلاة الصبح تصلي سنة الصبح، تقرأ في الركعة الأولى (قل يا أيها الكافرون) بعد الفاتحة، وفي الثانية (قل هو الله أحد)، ثم تذهب إلى الجماعة البتة فلا تفارقها ما أمكنك"(٣).

يفهم من كلام الشيخ أن الخلوة عادة تبدأ قبل صلاة الفجر بمدة، حيث لم يتطرق إلى ذكر أي واجب من واجبات الخلوة قبل الفجر سوى قول لا إله إلا الله، و بالنسبة لسنة الصبح فإنها تصلّى في المنزل كما يفهم من نصّ عليه كلامه رحمه الله (...ثم تذهب إلى الجماعة)، وهذا موافق لسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول: "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"(٤)، و أما تأكيده على قراءة (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) فإنه أيضا موافق لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أبي هريرة: "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قرأ في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد"(٥).

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٣.

(٢) القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة(٢٧٣)، سنن ابن ماجه، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٤٠٦، رقم الحديث: ٣٨٠٠.

(٣) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ص١٦٣، رقم الحديث: ٧٣١.

(٥) النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج(ت٢٦١)، صحيح مسلم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت، د.ت، ص٣٢٧، رقم الحديث: ١٦٣٧.

هذا وقد حثّ الشيخ مريديه على ملازمة صلاة الجماعة وعدم تركها ما استطاع، وهذا أيضا موافق لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبعٍ وعشرين درجةً"(١).

لقد كان الشيخ نور الدين حريصا على أداء الصلاة المفروضة في المسجد، بينما هناك الكثير من أرباب التصوف الذين ينشغلون عن ذلك بالذكر والختمة والخلوة، وإذا حان وقت صلاة الفريضة فإنهم يصلّونها في التكايا والمراقد والمزارات علما أن الصلاة في الأماكن التي تحتوي على القبور منهي عنها حيث ورد في حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً"(٢)، ويقول الشيخ نور الدين: "ثم تقعد مستقبل القبلة إن أمكنك، وتردد الكلمة بشدة القلب إن لم يكن هناك أحد إلى وقت الضحى، فتصلي صلاة الضحى ثمان ركعات"(٣).

كلام الشيخ نور الدين هذا موافق لما ورد في بعض أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حثّه على المكوث بعد صلاة الفجر جماعة وذكر الله تعالى إلى أن تطلع الشمس، وصلاة ركعتي الضحى بعد ذلك، فقد ورد في حديث له (صلى الله عليه وسلم): "مَن صلى الفجرَ في جماعةٍ، ثم قَعَد يَذْكُرُ اللهَ حتى تَطْلُعَ الشمسُ، ثمّ صلى ركعتينِ، كانت له كأجرِ حَجَّةٍ وعُمْرَةٍ تامَّةٍ، تامَّةٍ ، تامَّةٍ"(٤).

هذا وقد نبّه الشيخ نور الدين على المريد ألّا يرفع صوته بالذكر إذا كان هناك شخص أو أشخاص آخرون معه في المسجد، دفعا للرياء أولاً، وامتناعا عن التشويش عليهم ثانياً، فقيّد ذلك بقوله: "إن لم يكن هناك أحد"(٥).

صلاة الضحى أقلها ركعتان وأكثرها ثمان ركعات كما ورد في حديث أم هانئ "...فأخبرَتْني أنه صلاها ثمان ركعات"(٦)، لذا حث الشيخ نور الدين المريد أن يصلي الضحى ثمان ركعات لأن ذلك أفضل مراتبها.

"ثم تنام نومة القيلولة فإنها سنّة"(٧).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ص١٤٧، رقم الحديث: ٦٤٥.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ص٢٧٩، رقم الحديث: ١٣٣٠.

(٣) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

(٤) الترمذي، الإمام محمد بن عيسى، سنن الترمذي(٢٧٩)، د.ط، مكة المكرمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، رقم الحديث: (٥٨٦).

(٥) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

(٦) االقزويني، سنن ابن ماجه، ص١٥٢، رقم الحديث: ١٣٧٩.

(٧) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

جاء في لسان العرب حول معنى القيلولة: "[قيل]؛قيل: الْقَائِلَةُ: الظَّهِيرَةُ. يُقَالُ: أَتَانَا عِنْدَ الْقَائِلَةِ، وَقَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى الْقَيْلُولَةِ أَيْضًا وَهِيَ النَّوْمُ فِي الظَّهِيرَةِ... وَالْمَقِيلُ وَالْقَيْلُولَةُ: الِاسْتِرَاحَةُ نِصْفَ النَّهَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا نَوْمٌ، يُقَالُ: قَالَ يَقِيلُ قَيْلُولَةً فَهُوَ قَائِلٌ"(١). ويستحب أخذ القيلولة لأنها تنشّط صاحبه في سائر يومه، وتعينه على قيام اللّيل، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب أن ينام فيها وهي النوم قبل صلاة الظهر، ورد في حديث ابن عباس: عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل"(٢).

هذا وقد اختلف الفقهاء حول وقتها هل هي قبل الزوال؟ أم بعدها؟ فالذين قالوا إنها بعد الزوال احتجوا بحديث سهل بن سعد رضي الله عنه– قال: "ما كُنَّا نقيل ولا نتغذى إلا بعد الجمعة"(٣)، وقال الآخرون إنّ ذلك كان خاصّا بيوم الجمعة، أما في غير الجمعة فالقيلولة تكون قبل الزوال، يقول الشيخ نور الدين: "ثم تقوم عند يقظتك وتشتغل إلى وقت صلاة الظهر ثم تحضرها"(٤).

بما أنّ الخلوة محدّدة من الناحية الزمنية سواء كانت قصيرة أم طويلة، فقد حثّ الشيخ نور الدين المريد أن لا يترك لحظة واحدة تمرّ عليه دون أن يشغلها بالعبادة سواء بالذكر، أو قراءة القرآن، أو التأمل في نفسه ومآله، لذلك وجّه المريد للاشتغال بأنواع العبادات إلى وقد صلاة الظهر.

يقول الشيخ نور الدين: "فترجع كما سبق، وتقعد في بيت الخلوة، وتقرأ الفاتحة عشرين مرة، وآية الكرسي كذلك، والإخلاص أربعين مرة، والاستغفار مائة مرة"(٥).

يبدو أنّ أيام الخلوة حافلة بأنواع العبادات منذ الفجر إلى فجر اليوم التالي، لذا يقرّر الشيخ نور الدين أن المريد وبعد أدائه لصلاة الظهر جماعة عليه أن يعود إلى بيت الخلوة ثانية ويستمر في قراءة الأذكار والأوراد وما إلى ذلك، هذا وقد حدّد الشيخ للمريد قراءة الفاتحة، وآية الكرسي، وسورة الإخلاص، والاستغفار وفقد الأعداد التي ذكرها في الرسالة.

بالنسبة لقراءة سورة الفاتحة وآية الكرسي و سورة الإخلاص فقد وردت العديد من الأحاديث والآثار التي تحث على قراتها و فضل ذلك، ولكن تحديد مرات القراءة بهذا العدد ليس له أصل في السنة النبوية، أما الاستغفار مائة مرة فقد ورد في ذلك حديث صحيح: "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"(٦).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: (قيل).

(٢) القزويني، سنن ابن ماجه، ص١٨٥، رقم الحديث: ١٦٩٣.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ص١٣٣٤، رقم الحديث: ٦٢٤٨.

(٤) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٦) النيسابوري، صحيح مسلم، ص١٢٩٥، رقم الحديث: ٦٩٥٧.

ويقول عن صلاة العصر: "وعند العصر تصلي أربع ركعات وتحضر الجماعة"[١] يقصد بذلك الركعات الأربع التي تصلى قبل العصر، وقد ورد في ذلك عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا"[٢]، وتلك الركعات الأربع ليست من السنن الرواتب، بل هي نافلة حثّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلّم، والحكمة منها لأنّه لا نافلة بعد صلاة العصر إلى وقت الغروب لذا شرع صلاة أربع ركعات نافلة قبل صلاة العصر، بعد هذا الكلام عاد الشيخ مرّة أخرى وأكّد على أداء صلاة الفرض (صلاة العصر) جماعة كما هو ديدنه دائماً.

ثمّ يقول: "ثم ترجع بالكلمة إلى المغرب، فإذا حضرتها ورجعت تصلي الراتبة"[٣]، يبدو أنّ الشيخ نور الدين لم يحدد للمريد ذكرا أو وردا معينا بين العصر والمغرب، بل ترك ذلك للمريد نفسه يختار منها ما يشاء، ثم أشار الشيخ إلى أداء صلاة المغرب جماعة كما هو ديدنه مع سائر الصلوات الأخرى، ونبّه بعد ذلك إلى فضيلة صلاة الراتبة بعد صلاة المغرب في البيت، أو مكان المبيت امتثالا لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"[٤]، أما بخصوص صلاة ركعتين بعد صلاة المغرب فقد ورد عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يصلي بعد المغرب ركعتين[٥]. أما عن الصلاة بين المغرب والعشاء فقد أشار إليها الشيخ بقوله: "ثم ست ركعات من صلاة الأوابين"[٦]، وهي الصلاة التي يسمونها بالأوابين، بينما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) عدة أحاديث تنص على أن صلاة الأوابين هي صلاة الضحى نفسها منها: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الأوابين حين ترمض الفصال"[٧]، فصلاة الأوابين هي صلاة الضحى عينها، أما أداء صلاة التطوع بين المغرب والعشاء فمشروع ولا بأس به، ولا حدّ لها ويجوز لمن يصلها أن يصلّي ما شاء منها، أما تسميتها بصلاة الأوابين فإنه خطأ والله أعلم. ثم قال: "وإذا جاء العشاء وحضرت الجماعة ورجعت صليت الراتبة، ثم تجلس مستقبل القبلة وتردد الكلمة، وقد كنت صائما، فإذا جاء العَشاء ابتدأت بالأكل، وفي بدء كل لقمة تسمي باسم الله..."[٨].

---

(١) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٤.

(٢) الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود، مسند أبي داود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٩، ج٣، ص٤٤٤، رقم الحديث: ٢٠٤٨.

(٣) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ص١٦٣، رقم الحديث: ٧٣١.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، ص٢٠٢، رقم الحديث: ٩٣٧.

(٦) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٤.

(٧) النيسابوري، صحيح مسلم، ص٣٣٦، رقم الحديث: ١٦٩٣.

(٨) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٤.

يفهم من كلام الشيخ نور الدين على أن صاحب الخلوة – وقد كان صائما– عليه أن يفطر بعد صلاة العشاء، و هذا مخالف لهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث كان يأمر بتعجيل الفطر فورد عن سهل بن سعد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"[١]، ثمّ إن تأخير الفطر إلى ما بعد صلاة العشاء فيها مشقة نهي المسلمون عنها، ولا يعد ذلك زيادة فضل و أجر بل كل الفضل و الأجر في اتباع سنته (صلى الله عليه وسلم)، أما التسمية عند تناول كل لقمة فلا أعلم أنه ورد بذلك شيء، والمعروف الوارد عنه (صلى الله عليه وسلم) هو التسمية في بداية تناول الطعام فقط.

أما عمّا جاء في إهداء ثواب العبادات في قوله: "...وتستوهبها أي ثوابها للنبي (صلى الله عليه وسلم) وسائر النبيين والصحابة والملائكة..."[٢] فإن قيام صاحب الخلوة بإهداء ثواب تلك العبادات والأذكار للذين ذكرهم محل نظر، ولا دليل على ذلك يمكن الاستناد عليه، والأصل في الطاعات والقربات أن يؤديها كل إنسان عن نفسه كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٣]، أما بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وسلم) فإن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، بالتالي فهو ليس بحاجة إلى أن يهبه غيره ثواب ما يقوم به من الأعمال الصالحة، ثم إنّه ينبغي أن يُعلَم أنّ ثواب الأعمال الصالحة التي يؤديها المسلمون ستصل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأنه سبب الهداية الأول، أما الأنبياء الآخرين عليهم السلام فلم يرد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما يفيد بجواز إهداء ثواب الأعمال الصالحة إليهم، أما الملائكة فان المعروف عنهم أنهم ليسوا مكلفين بل إنهم ﴿لا يعْصُون الله ما أمرهُمْ ويفْعلُون ما يُؤْمرُون﴾ [٤].

أما عن توجيهه للمريد فيما إذا غلبه النعاس فقد جاء قوله: "فإذا غلبك النوم فنم"[٥]، وهذا مطابق وموافق سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث ورد عن أنس: عن ا لنبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقرأ"[٦]، لذا لا يجوز الاستمرار في العبادة لمن غلبه النوم لأنه قيام بما لا طاقة للإنسان به، وتكليف للنفس بما لا تطيق، وما يفعله البعض من غسل الوجه، وتغيير المكان، والتعرض للبرد بقصد الغلبة على النعاس فبدعة ومخالفة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلّم).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ص٤٠٨، رقم الحديث: ١٩٥٧.

(٢) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٤.

(٣) سورة النجم، الآية ٣٩.

(٤) سورة التحريم، الآية ٦.

(٥) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٤.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، ص٦٣، رقم الحديث: ٢١٢.

قال: "فإذا قمت استغفرت الله مائة مرة بالانكسار والخضوع، وتدعو حينئذ دعاء طويلا للدارين لك ولوالديك ولمن أحببتهم من الأقارب والمسلمين إلى الصبح أي بالاستغفار والتضرع والدعاء وكلمة التوحيد"(١)، واضح من فقرة قيام الليل من برنامج الخلوة أنه متنوع حيث يشمل الاستغفار، والدعاء الذي يشمل الدارين الدنيا والآخرة، وشمول الوالدين والأهل وذوي القربى والمحبّين وسائر المسلمين بالدعاء، والقيام مع الانكسار والخضوع والخشوع، ويستمرّ ذلك إلى الصبح، ولكن الملفت هنا أنه لم يشر لا إلى صلاة التهجّد ولا الوتر التي عادة ما يختم بها قيام الليل، إلا إذا كان قصده من قوله (فإذا قمت...) قيام اللّيل والله أعلم.

قال: "ثم تصلي صلاة الصبح كما مرّ، وهذه عادتك كل يوم وليلة ... ولا تتكلم مع من يأتيك بالعشاء (الطعام) ما استطعت"(٢).

يبدو واضحا أن برنامج الخلوة يبدأ بصلاة الفجر وينتهي بها في اليوم التالي، وهنا أشار الشيخ نور الدين إلى أمر آخر وأكّد عليه وهو الامتناع عن الكلام أثناء الخلوة ما استطاع المريد إلى ذلك سبيلا لأن الكلام حسب ما يراه الشيخ فيه مضرة على السالك ويذهب ببريقه ونوره، وبكلامه هذا يوجّه الشيخ نور الدين المريد لكي يستخدم لسانه في ذكر الله تعالى وقراءة القرآن والأوراد، والامتناع عن استخدامه في غير ذلك ولو كان كلاما مباحا، وإذا كان الكلام المباح منهيا عنه فما بالك بلغو الكلام وغيره من الكلام المنهي عنه!

وفي الختام يقول: "ولا تغفل عن رابطة شيخك، واستحضار شكله ما أمكنك، وفي كل يوم وليلة تستمد من الشيخ عبد القادر (رضي الله عنه)...وتناديه يا شيخ الطريق الغوث الغوث، يا قطب العارفين ساعدني في هذه الطريقة، فأنت وسيلتي إلى ربّ العالمين، وفي اليوم الثاني تستمد من الشيخ معروف الكرخي...، وفي اليوم الثالث تستمد من حضرة الشيخ جنيد البغدادي..."(٣).

هذا الذي قرره الشيخ نور الدين من استمداد القوة و الاستغاثة، و طلب العون من الشيوخ و الأقطاب الذين ذكرهم مخالف للشريعة تماما، فمثل هذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله، أما الأموات شيوخا كانوا أو غير ذلك فهم أحوج إلى الأحياء من حاجة الأحياء إليهم، أما عبارة (أنت وسيلتي إلى رب العالمين) التي تكررت بصيغ مختلفة فتنافي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣٥﴾ (٤).

---

(١) الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٥.

(٤) المائدة، الآية ٣٥.

الخاتمة:

توصّلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات كان منها:

١- لقد انتشر الفكر الصوفي، والانتساب للطرق الصوفيّة في المناطق الكردية من العراق خلال القرن التاسع عشر بشكل ملحوظ، حيث انتسب الآلاف من العلماء والوجهاء والمشاهير عامة الناس لتلك الطرق الصوفية.

٢- لقد حظيت طريقتان صوفيتان من بين العشرات من الطرق الصوفية بالقبول والانتشار بين الكُرد وهما كل من الطريقة النقشبندية، والطريقة القادرية، ولكل منها مئات الآلاف من المريدين، والعشرات من التكايا والمزارات التي يرتادها منتسبو الطريقتين.

٣- لقد انتسب الشيخ نور الدين البريفكاني للطريقة النقشبندية إلاّ أنه سرعان ما تركها وانتسب للطريقة القادريّة، وكان الشيخ في بداية الأمر منتسبا للطريقة الخلوتية التي كان أجداده ينتسبون إليها.

٤- يعد الشيخ نور الدين البريفكاني من مجددي الطريقة القادرية، حيث تمكن من تجديدها ونشرها في المنطقة بعدما كادت تتلاشى وتزول تماماً، فقد تمكن الشيخ نور الدين من جمع المريدين حوله وكثر أتباعه ومريدوه وقصده الناس من العديد من المدن العراقية والكردستانية، وله العديد من المريدين في الكثير من الدول العربية أيضا.

٥- لقد ساهم علماء الكرد وبشكل فعال في نشر العلم والثقافة والأدب بين الكُرد في والعراق عموما، وأصبح البعض منهم علماء كبار ومرموقين حيث تتلمذ على أيديهم خيرة علماء المنطقة مثل الملا يحيى المزوري وغيره.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

أولاً: الكتب والمراجع:

١- آميدي، صادق بهاء الدين، هوزانفانيت كورد (الشعراء الكرد)، بغداد، ١٩٨٠م.

٢- البدليسي، الأمير شرفخان، الشرفنامه، ترجمة: محمد جميل الملا أحمد الروزبياني، ط١، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية، أربيل، ٢٠٠١م.

٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت.

٤- البريفكاني، الشيخ ممدوح، زمانى كوردى ديوانا شيخ نوره دينى بريفكانى، أعده للنشر: زاهد البريفكاني، ط١، مطبعة وزارة التربية، أربيل، ٢٠٠٢.

٥- البريفكاني، الشيخ ممدوح، لاله شين (ديوان شعر)، جمع وإعداد: زاهد البريفكاني، ط١، مطبعة APec FOLag، ستوكهولم، ١٩٩٧م.

٦- البريفكاني، الشيخ نور الدين، الأسرار والمعاني، جمع وتحقيق الشيخ وحيد الدين قطب الدين البريفكاني، مطبعة جعفر العصامي، بغداد، ٢٠٠٤م.

٧- البريفكاني، الشيخ نور الدين، البدور الجلية فيما مست إليه حاجات الفقراء الصوفية، جمع وتحقيق الشيخ وحيد الدين قطب الدين البريفكاني، د.ط، مطبعة الثقافة والشباب، أربيل، ١٩٨٦م.

٨- البريفكاني، الشيخ وحيد الدين قطب الدين نوري، العالم الرباني، الشيخ نور الدين البريفكانيى وآثاره، مطبعة الثقافة، أربيل ١٩٨٤م.

٩- جلبي، أوليا، رحلة أوليا جلبي في كوردستان عام ١٠٦٥هـ . ١٦٥٥م، ترجمة: رشيد فندي، ط١، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨م.

١٠-صوفي، عبد الصمد، الدر المبين في مآثر الشيخ نور الدين البريفكاني، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، د.ت.

١١-الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود، مسند أبي داود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٩.

١٢- فندي، رشيد، من ينابيع الشعر الكلاسيكي الكردي، مطبعة وزارة الثقافة، أربيل ٢٠٠٤م.

١٣-القرداغي، محمد علي، ورود الكرد في حديقة الورود، ط١، دار آراس، أربيل، ٢٠٠٢م.

١٤- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجه، بيت الأفكار الدولية، بيروت ٢٠٠٤م.

١٥-الكزني، محمد أحمد مصطفى، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته آثاره شعره، مطابع الناشر العربي، القاهرة، ١٩٨٣م.
١٦- المايي، أنور، الأكراد في بهدينان، ط٣، مطبعة خبات، دهوك، ١٩٩٩م.
١٧-محمد أمين، أكرم عبد المهاب، اللطف الداني من مناقب الشيخ نور الدين البريفكاني، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٨٢م.
١٨- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت.
١٩-هروتي، سعدي عثمان، كوردستان والإمبراطورية العثمانية، ط١، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨م.

ثانياً: القواميس والمعاجم:

١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٩٩٤.
٢- الدهوكي، ملا محمد سعيد ياسين البريفكاني، فضلاء بهدينان، مطبعة خبات، دهوك، ١٩٩٧م.
٣- رؤوف، عماد عبد السلام، المعجم التاريخي لإمارة بهدينان، د.ط، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، ٢٠١١م.
٤- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
٥- السلفي، حمدي عبد المجيد والدوسكي، تحسين إبراهيم عقد الجمان في تراجم العلماء والأدباء الكرد والمنسوبين إلى قرى ومدن كردستان، د.ط، مكتبة الأصالة والتراث، الشارقة، ٢٠٠٨م.
٦- السلفي، حمدي عبد المجيد والدوسكي، تحسين إبراهيم، معجم الشعراء الكرد، ط١، مطبعة حجي هاشم، أربيل، ٢٠٠٨م.
٧- سمو، آزاد سعيد وآخرون، موسوعة التصوف الميسرة، ط١، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٥.
٨- الصويركي، الدكتور محمد علي، معجم أعلام الكرد، مطبعة مؤسسة حمدي للطبع والنشر، السليمانية، ٢٠٠٥م.
٩- المدرس، عبد الكريم، علماؤنا في خدمة العلم والدين، ط١، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣م.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

١- محي، شهاب أحمد، الشيخ نور الدين البريفكاني حياته وشعره، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية في جمهورية السودان.